

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية

قراءة في سياق الدلالات المعرفية

Among pioneers of Islamic culture Applications
Of the inductive method cognitive semantics Seeing in context

د. محمود بطل محمد أحمد

الأستاذ المساعد بجامعة الشارقة (الإمارات)

الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر (مصر)

Mahmoud.ahmed@sharjah.ac.ae

تاريخ الإرسال: 2024/08/06 تاريخ القبول: 2024/11/09 تاريخ النشر: 2024/12/31

ملخص:

يأتي هذا البحث ليناقدش الدلالات المعرفية للتطبيقات الإبداعية للمنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية، وقد اعتمدت في هذا البحث على منهجين هما المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي، ومن النتائج التي توصل إليها الباحث تعدد التعريفات الاصطلاحية للاستقراء، تبعاً لتشعب المجالات التي تتناول هذا المنهج من ناحية والتطور المعرفي الذي لحقه من ناحية أخرى، وأن كلا من القياس المنطقي والاستقراء يمثلان حجر الزاوية في العمل العقلي مروراً من الكلي إلى الجزئي في الأول ومن الجزئي إلى الكلي في الثاني.

ومن هذه النتائج أن استعمال المسلمين للمنهج الاستقرائي لم يكن أبداً تنكراً لدلالة النص، بل كان تأسيساً لإطار تكاملي مع هذه الدلالة وتفعيلاً لصيغها الواقعية. وتأكيداً على شمولية المنهجية المعرفية، وأننا حين نتدبر استخدام هذا المنهج من قِبَل علماء المسلمين نجد أنهم قد انطلقوا من الوعي بالسنن التي أودعها الله في هذا الكون.

ومن هذه النتائج كذلك محورية استحضار إبداعات المسلمين في استعمال المنهج الاستقرائي في التدليل على كون الخلل الحضاري ليس ناتجاً عن طبيعة العقل المسلم، وأننا حين نؤكد على محورية استحضار وتفعيل المنهج الاستقرائي في تجاوز الأزمة الحضارية للأمم فإننا نؤكد في الوقت ذاته على ضرورة التكامل مع المكون الروحي والتربوي العام.

ومن التوصيات: عمل المزيد من الدراسات التي تكتشف إبداعات المسلمين في المنهجية العلمية، وتطوير المواد التعليمية التي تناقش مناهج البحث العلمي في التراث الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: (المنهج . الاستقراء . الثقافة . الدلالات . المعرفة).

Summary

This research discusses Muslim scholars' applications of the inductive method and its cognitive implications. Among its results are the multiple definitions of induction and that both analogy and induction represent great importance in the work of the mind.

Among these results is that the Muslims' use of the inductive method was not a detriment to the meaning of the text, but rather it was an integration between reason and transmission, and that Muslims began using the inductive method out of awareness of universal laws.

Among the results is also the importance of remembering Muslims' applications of the inductive approach in demonstrating that civilizational decline is not the result of the nature of the Muslim mind and the importance of integration between the inductive approach and the spiritual aspect .

Keywords : Practice - induction - culture - semantics – knowledge

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد،

فإن العطاء المعرفي الإسلامي كان إحدى عطاءات الإسلام التي أحدثت تغييرا هيكليا في البنية الفكرية الإنسانية، تلك البنية التي شهدت الكثير من الانحرافات المعرفية والتي كان أساسها المحوري المنهجية المعرفية.

إن الإسلام قد أسس منهجية معرفية استوعبت كافة المصادر المعرفية من الوحي الإلهي والعقل والحواس مما مكن المسلمين من امتداد تطبيقاتهم إلى مختلف المجالات الشرعية والإنسانية والتجريبية.

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية: قراءة في سياق الدلالات المعرفية
ويأتي المنهج الاستقرائي ليكون واحدا من المناهج التي تأسست في ظلال معطيات
الوحي الإلهي وأبدع المسلمون في تطبيقاتها مما يحتم جعله دائرة من الدوائر التي تبين عظم
المنهجية المعرفية الإسلامية.

إن البحث في هذه التطبيقات لا بد وأن يكون في ضوء الواقع الإنساني بما فيه من
إشكاليات ليكون هذا البحث سبيلا من سبل التعاطي المنهجي معها.

من هنا يأتي هذا البحث تحت عنوان: (تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد
الثقافة الإسلامية رؤية في سياق الدلالات المعرفية) ليناقد الانعكاسات المعرفية
لتطبيقات علماء المسلمين للمنهج الاستقرائي.

إن هذا البحث لا يهدف إلى سرد التطبيقات الإسلامية للمنهج الاستقرائي لأن ذلك
أمر تكفلت به الكثير من الدراسات، ولكن المبتغى الرئيس لهذا البحث هو توظيف هذه
التطبيقات في الرؤية العامة للثقافة الإسلامية وكيف يمكن للباحث في الثقافة الإسلامية أن
يتخذ من هذه التطبيقات دعامة له في البرهنة على خصائص هذه الثقافة من الواقعية
والشمولية المنهجية والسنية وغيرها.

إن الباحث في خصائص الثقافة الإسلامية لا بد له من تأمل في التاريخ المعرفي
الإسلامي ذلك التاريخ الذي امتد قرونا متطاولة من أجل أن يرصد أوجه الدلالة على تلك
الخصائص، وحين مثلت تطبيقات المسلمين للمنهج الاستقرائي مفردة من أبرز مفردات
التاريخ المعرفي الإسلامي كانت هناك ضرورة لتدبر هذه التطبيقات وقراءتها في سياق من
الدلالات المعرفية الخاصة بالثقافة الإسلامية، كدلالتها على مكانة العقل في الإسلام وكون
هذه المكانة قد أخذت المنحى التكاملي مع نصوص الوحي الإلهي، ودلالتها على أصالة الثقافة
الإسلامية تلك الأصالة التي لم يكن معناها الانعزالية الحضارية للأمة وفي نفس الوقت لم
يكن معناها خلو هذه الأمة من منطلقات معرفية نابعة من ثنايا الوحي الإلهي مكنت من
انفتاح حضاري منضبط، ثم دلالتها على تكامل المنهجية المعرفية للإسلام واتساع أفق
المصدرية المعرفية فيه وتخطيها الحصر القسري لتلك المصدرية لدى فلسفات تقاسمت
الكثير من فترات التاريخ الفكري الإنساني.

مشكلة البحث:

تبرز الإشكالية الرئيسة لهذا البحث في أن هناك تفاوتاً في تحديد الزاوية التي ينبغي أن تكون محل النظر في التاريخ المعرفي الإسلامي رغم أهمية تحديد هذه الزاوية لأنها هي التي تشكل حلقة الوصل بين هذا التاريخ ومشكلاتنا الفكرية المعاصرة، ويركز هذا البحث على الزاوية المنهجية تلك الزاوية التي تنضوي تحتها جزئيات هذا التاريخ، وتعطينا المفتاح الحقيقي لمعالجة الواقع الفكري، وحين اتخذ الباحث من المنهج الاستقرائي النموذج لذلك برزت لنا عدة تساؤلات للدراسة تتمثل فيما يلي:

ما هي تأصيلات الوحي الإلهي للمنهج الاستقرائي؟

وما هي الانعكاسات المعرفية لتطبيقات المسلمين لهذا المنهج؟

وكيف يتم استحضارها في التعاطي مع الأزمة الحضارية الراهنة؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

1. بيان مفهوم المنهج الاستقرائي وموقعه من مناهج الاستدلال.
2. عرض صور من تطبيقات علماء المسلمين للمنهج الاستقرائي في مجالات معرفية متنوعة.
3. إظهار العلاقة بين تطبيقات المسلمين للمنهج الاستقرائي ومكانة العقل في الإسلام.
4. الكشف عن آلية تطبيق علماء المسلمين لمنحاهم النقدي في التعامل مع ما وصلهم من التراث المتعلق بالمنهج الاستقرائي.
5. إظهار كيفية الاستفادة من المنهج الاستقرائي في الواقع الحضاري للأمة.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على منهجين هما: المنهج الاستقرائي والذي تتبعته من خلاله إبداعات المسلمين في استعمال المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي والذي توصلت من خلاله إلى الدلالات المعرفية لهذه الإبداعات.

الدراسات السابقة

قد تناول المنهج الاستقرائي كمنهجية استدلالية العديد من الدراسات، ومنها ما يلي:
الدراسة الأولى: العلية بين الاستنباط والاستقراء، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، الجمعية الفلسفية المصرية، مجاى، رابح، مج 12، ع 12 (2003م) وقد سلط الضوء على مسألة العلية بين المنهجين الاستدلاليين الاستنباط والاستقراء.

وأما الدراسة الثانية فهي بعنوان الاستقراء عند الأصوليين للباحث جعيم، نعمان بن مبارك، الجامعة الإسلامية العالمية، المجلد/العدد: مج 10، ع 20 (2006م) وقد تناولت الدراسة صوراً من تطبيقات الأصوليين للمنهج الاستقرائي.

وأنت الدراسة الثالثة تحت عنوان: الاستقراء الناقص وأثره في بناء قواعد العربية للباحث محمود، عبد الناصر، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي (2008م) بين فيها الباحث اعتماد النحاة على المنهج الاستقرائي في استخلاص قواعدهم النحوية.

وأما الدراسة الرابعة فهي بعنوان أثر الاستقراء في الفقه الإسلامي عند الأصوليين: دراسة تطبيقية، عبد الجابر، ربيع جمعة، مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا، كلية دار العلوم، المجلد/العدد، 2011م بين فيه منهجية الأصوليين في الاستدلال بالاستقراء مع ذكر العديد من الفروع الفقهية.

الفرق بين الدراسات السابقة ودراستي: تناولت الدراسات السابقة الشرح والبيان لمفهوم الاستقراء، وعرضت لبعض التطبيقات المختلفة في المجالات المعرفية، ويأتي هذا البحث ليدرس الدلالات والانعكاسات المعرفية التي نتجت عن هذه التطبيقات، والتي تعد جزءاً لا يتجزأ من حقيقة الثقافة الإسلامية بخصائصها الفريدة.

ومعنى هذا أن الدراسات السابقة كان الهدف الرئيس لها إبراز آليات العلوم المختلفة في استخدام المنهج الاستقرائي، وأما هذه الدراسة فهي دراسة توظيفية لهذه الآليات في التصور العام للثقافة الإسلامية والبرهنة على خصائصها المختلفة.

خطة البحث: يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث على النحو التالي:

المقدمة، وبينت فيها أهمية الموضوع، ومشكلة الدراسة، ومنهجها، وخطتها.

التمهيد: مفهوم المنهج الاستقرائي

المبحث الأول: المنهج الاستقرائي ودلالة تطبيقاته على محورية مكانة العقل

المطلب الأول: المنهج الاستقرائي (أنواعه ومراحله وصلته بالمنهج الاستنباطي)

المطلب الثاني: دلالة تطبيقات المنهج الاستقرائي على محورية مكانة العقل

المبحث الثاني: تطبيقات المنهج الاستقرائي في سياق الأصالة والتكامل

المطلب الأول: سياق الدلالة على أصالة المنهجية العلمية للثقافة الإسلامية

المطلب الثاني: سياق الدلالة على تكامل المنهجية العلمية للثقافة الإسلامية

المبحث الثالث: تطبيقات المنهج الاستقرائي في السياقين السني والحضاري

المطلب الأول: سياق الدلالة على ضرورة الوعي بالسنن الكونية

المطلب الثاني: سياق الدلالة على إمكانية تجاوز الأزمة الحضارية.

تمهيد:

المطلب الأول: التعريف بالمنهج الاستقرائي

المنهج الاستقرائي مركب وصفي، ولا بد من التعرف على جزئيه ليتم التوصل إلى مفهومه العام. فأما المنهج فمن تعريفاته أنه الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.⁽¹⁾

ومن تعريفاته كذلك أنه فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين.⁽²⁾

وأما الاستقراء فهو لغةً من الفعل (قرى)، وقد ذكر ابن فارس أن القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع. من ذلك القرية، سميت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون: قريت الماء في المقرة: جمعته، والمقرة: الجفنة، سميت لاجتماع الضيف عليها، أو لما جُمع فيها من طعام.⁽³⁾

وجاء في تاج العروس: قرا (البلاد) يقروها: إذا (تتبعها يخرج من أرض إلى أرض) ينظر حالها وأمرها، وقراها قريا، كذلك. وقال اللحياني: قروت الأرض: سرت فيها، وهو أن تمر بالمكان ثم تجوزه إلى غيره ثم إلى موضع آخر.⁽⁴⁾

وقال الأصمعي: قروت الأرض إذا تتبععت ناسا بعد ناس.⁽⁵⁾

لقد أظهرت النقول السابقة أن معنى الاستقراء في اللغة يدور حول الجمع والتفحص والتتبع، وأن الأصل في استعمال هذه الكلمة الإطار الحسي، وهذه المعاني اللغوية ستشكل محورية كبيرة في التحديد الاصطلاحي.

(1) بدوي، عبد الرحمن مناهج البحث العلمي، مصر، دار النهضة العربية، (1963م)، ص5

(2) المرجع السابق، ص4

(3) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (2001م)، ص853

(4) الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (284/39)

(5) المرجع السابق (284/39)

الاستقراء اصطلاحاً

إن مصطلح الاستقراء قديم قدم التراث الفلسفي اليوناني فقد استخدم اليونانيون الكلمة للإشارة إلى القضية الكلية التي تندرج تحتها الجزئيات المدركة إدراكاً حسيّاً.⁽⁶⁾

وقد عرفه أرسطو بأنه انتقال من الأفراد أو الجزئيات إلى الكليات أو العموميات.⁽⁷⁾

ونجد العديد من التعريفات له في التراث الإسلامي حيث عرفه الجرجاني بكونه: الحكم على كليٍّ بوجوده في أكثر جزئياته.⁽⁸⁾

ويوضح الجرجاني التعريف، ويذكر أنه ذكر في حقيقة الاستقراء أغلب الجزئيات لأنه لو كان بجميع الجزئيات فإنه لا يطلق عليه استقراء بل إنه يسمى قياساً مقسماً، وعلّة تسمية الأول استقراء أن ما به من مقدمات لا تحصل إلا من خلال تتبع للجزئيات، وذلك كقولنا: كل حيوان فإنه يحرك فكه الأسفل عند المضغ حيث إن الإنسان والسباع والبهائم تفعل ذلك، وهذا النوع من الاستقراء هو استقراء ناقص ولا يفيد اليقين حيث إنه يجوز وجود جزئي لم يستقرئ مع أن حكمه لا يوافق ما قد تم استقراؤه، فالتمساح مثلاً يحرك الفك الأعلى عند المضغ.⁽⁹⁾

إننا نجد أن الجرجاني يحصر مفهوم الاستقراء في الاستقراء الناقص، ويجعل الاستقراء التام مندرجاً تحت مفهوم القياس على أنه نوع منه.⁽¹⁰⁾

وعرفه الغزالي بأنه عبارة عن تصفح أمور جزئية ليحكم بحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات. وهو الموافق لكلام أبي نصر الفارابي حيث قال: الاستقراء هو: تصفح شيء من الجزئيات الداخلة تحت أمر كلي لتصحیح ما حكم به على ذلك الأمر بإيجاب أو سلب، فتصفحنّا جزئيات ذلك الكلي لنطلب الحكم في واحد واحد هو الاستقراء، وإيجاب الحكم لذلك الأمر الكلي أو سلبه عنه هو نتيجة الاستقراء سمي بذلك؛ لأن المستقرئ يتتبع جزئاً

(6) عبد القادر، ماهر، مناهج العلوم عند المسلمين قديماً وحديثاً، مكتبة أورينتال (2007م)، ص18

(7) موسى، جلال، منهج البحث العلمي عند العرب، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (1972م)، ص33

(8) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تج: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، (1983م)، ص18

(9) المرجع السابق، ص18

(10) ينظر: الخادمي، نور الدين، الاستقراء ودوره في معرفة المقاصد الشرعية، ط1، الرياض، مكتبة الرشد، (2007)، ص17

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية: قراءة في سياق الدلالات المعرفية
فجزئاً لتحصيل المطلوب، تقول: استقرئت البلاد إذا تتبعتها قرية قرية، تخرج من أرض إلى
أرض انتهى.⁽¹¹⁾

وذكر السعد أن من تعريفاته أنه الحكم على كلي لوجوده في أكثر جزئياته.⁽¹²⁾

وعلق الدسوقي على هذا التعريف قائلاً: قوله: "الاستقراء هو الحكم على كلي إلخ" فيه مسامحة لأن الاستقراء ليس هو الحكم على الكلي بل هو عبارة عن قضايا مسرودة، فالحكم على الكلي هو الغاية فهو تعريف بالغاية المترتبة عليه، كما أن قول بعضهم في تعريفه هو تصفح أمور جزئية ليحكم بحكمها على أمر يشتمل على تلك الجزئيات تعريف له بالسبب، فقد علم أن الاستقراء المعرف بما ذكر هو الاستقراء المعدود من اللواحق وهو الاستقراء الناقص المفهوم من لفظ الاستقراء.⁽¹³⁾

ومن تعريفات الاستقراء كذلك أنه: انتقال ذهني من النظر في حالات وأحكام جزئية إلى حكم عام، فنحكم على النوع بما حكمنا به على الأفراد، ونحكم على الجنس بما حكمنا به على الأفراد.⁽¹⁴⁾

إن هناك قواسم مشتركة في التعريفات السابقة توضح لنا ما يلي:

- أن مفهوم الاستقراء يدور حول تتبع الجزئيات والتوصل إلى حكم لكل منها ثم تعميم هذا الحكم على كليها.
- أن الحكم على الكلي هو الغاية من هذه العملية الاستدلالية.
- أن الاستقراء لا يقتصر مجال تطبيقه على ما يقع تحت الحواس بل يمكن تطبيقه في المعقولات أيضاً.
- أن مفهوم الاستقراء شهد تغيراً على مدار التاريخ المعرفي سواء في الفكر الغربي أم في الفكر الإسلامي، وكان من بين محددات هذا التغير علاقته بقسيمه أعني القياس المنطقي الذي يتم فيه الانتقال من الكلي إلى الجزئي.

⁽¹¹⁾ الملوي، أحمد بن عبد الفتاح، الشرح الكبير على السلم، الكويت، دار الضياء، ص410

⁽¹²⁾ الخبيصي، عبيد الله بن فضل الله، شرح الخبيصي على تهذيب التهذيب، مكتبة الأسكندرية، ص94

⁽¹³⁾ الدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على شرح الشمسية، ط1، مصر، المطبعة الأميرية، (1905م)، ص238

⁽¹⁴⁾ الخادمي، نور الدين، الاستقراء ودوره في معرفة المقاصد الشرعية، ص17

المبحث الأول: المنهج الاستقرائي ودلالة تطبيقاته على محورية مكانة العقل

المطلب الأول: المنهج الاستقرائي (أنواعه ومراحله وصلته بالمنهج الاستنباطي)

أولاً: أنواع الاستقراء

حين كان تتبع الجزئيات هو الركن الركين في الاستقراء كان تنوعه رهنا لذلك حيث انقسم إلى نوعين:

الاستقراء التام، ويتم فيه تتبع كافة جميع الجزئيات.

الاستقراء الناقص: والذي لا يتم فيه تتبع جميع الجزئيات.

"زودتنا التحليلات الاستمولوجية بتصورين للاستقراء الأول تصور الاستقراء التام أو الكامل الذي تكون نتيجته كلية، والثاني تصور الاستقراء العلمي الذي يُبنى على فكرة "الأكثرية" حيث تكون النتيجة احتمالية ترجيحية. وهذه الصورة الأخيرة من الاستقراء تشير صراحة إلى المصادرة الثانية من مصادرات الاستقراء العلمي الحديث وهي مصادرة اطراد الحوادث في الطبيعة Uniformity of Nature ويترتب على هذا أن العلماء العرب والمناطقه أيضاً، فهموا أنه يجوز أن يأتي المستقبل بحالات أخرى مخالفة لما عرفناه عن طريق التكرار.⁽¹⁵⁾

ثانياً: مراحل المنهج الاستقرائي

يقوم المنهج الاستقرائي على عناصر معينة أو مراحل معينة هي:

1. الملاحظة ويقوم الباحث في هذه المرحلة من البحث بملاحظة الظواهر التي يقوم بدراستها مستعيناً في ذلك بكل الآلات والأجهزة التي تساعده على تحقيق الملاحظة ودقتها.

2. فرض الفروض والغرض هو تفسير مؤقت للظاهرة موضوع البحث يفترضه الباحث على أساس ما قام به من ملاحظات، فإذا انتهى البحث إلى إثبات صحته أصبح قانوناً علمياً يفسر بهذه الظاهرة وإذا لم تثبت صحته فإن الباحث يعدل عنه إلى فرض آخر وهكذا حتى يصل إلى الفرض الذي تؤيده جميع الأدلة ليكون هو القانون العلمي.

(15) عبد القادر، ماهر، مناهج العلوم عند المسلمين قديماً وحديثاً، ص44

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية: قراءة في سياق الدلالات المعرفية

3 . التجربة وهو الوسيلة الأساسية للتأكد من صحة الفرض الذي يضعه الباحث وهي بجانب الملاحظة تعد من أهم سمات المنهج العلمي، ولا بد للتجربة من أن تصمم بصورة يراعى فيها منتهى الدقة والحذر بحيث تحقق الغرض الذي صممت من أجله.

4 . ينتهي الباحث في النهاية إلى صياغة القانون العلمي الذي يفسر الظاهرة التي يقوم بدراستها ويستعين في هذه الصياغة بالتعبيرات الرياضية حتى يبدو القانون في صورة دقيقة ومحكمة.⁽¹⁶⁾

ثالثاً: بين المنهج الاستقرائي والاستنباطي

بعد أن تبين لنا أن المنهج الاستقرائي منهج يقوم بالأساس على تتبع الجزئيات للتوصل إلى حكم كلي، فإن المنهج الاستنباطي يقوم على العكس من ذلك أي التوصل إلى أحكام لجزئيات عن طريق كلياتها، فإذا كان القياس استخداماً للعقل وإعمالاً له، فالاستقراء استخدام للحس لأن معرفة المحسوس لا تتم إلا عن طريق الحواس والإدراك الحسي.⁽¹⁷⁾

ولخص « كلود برنارد العلاقة بين القياس والاستقراء في أن للاستدلال صورتين، إحداهما خاصة بالبحث، وهي الاستدلال الاستقرائي والأخرى خاصة بالبرهنة، وهي الاستدلال، « Raisonnement inductif >>> الاستنتاجي « Raisonnement deductif »، وفي أن هاتين الصورتين تستخدمان في كل العلوم ، سواء كانت علوماً رياضية أم تجريبية؛ لأن هناك أشياء يجهلها الإنسان فيضطر إلى استخدام الاستقراء في الكشف عنها ، وأشياء يعتقد أنه بعلمها فيستعين بالقياس في عرضها على طريقة البرهان . وليس للباحث غنى عن الاستقراء ؛ لأن النظريات التي تقوم العلوم على أساسها لا تهبط ، كما يقول « كلود برنارد » من السماء ؛ بل لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الاستقراء⁽¹⁸⁾

⁽¹⁶⁾ مهران، محمد، علم المنطق، القاهرة، دار المعارف، ص55

⁽¹⁷⁾ عبد القادر، ماهر، مناهج العلوم عند المسلمين قديماً وحديثاً، ص18

⁽¹⁸⁾ قاسم، محمود، المنطق الحديث، ط2، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، (1953م)، ص37

وقال برنارد: "إني لا أعتقد أن الاستقراء والاستدلال يكونان نوعين من البرهان متميزين من حيث الجوهر فإن في عقل الإنسان بطبعه شعورا أو فكرة عن مبدأ يحكم الأحوال الجزئية ويسير دائما وعلى نحو غريزي من مبدأ أحرزه أو اخترعه بواسطة الفرض ولكنه لا يستطيع مطلقا أن يسير في البراهين إلا بواسطة الأقيسة أي بالسير من الكلي أو العام إلى الجزئي أو الخاص⁽¹⁹⁾

إن ما مضى يترك لنا العديد من الدلالات وهي:

1. تنوع المعارف وأن منها الضروري الذي لا يحتاج إلى إعمال للنظر وطلب للاستدلال، ومنها النظري الذي يحتاج إلى تلك الآليات، ويأتي المنهج الاستقرائي ليكون إحداها.
 2. ارتباط التطور المعرفي الإنساني بتطوير آليات الاستدلال لتتناسب مع مستجدات الحياة الإنسانية، فالمنهج الاستقرائي لم يبد منذ البداية في تلك الصورة المكتملة ذات المفردات الأربع بل مر بأطر تجديدية حتى استطاع أن يدلي بدلوه في تطور الحضارة الإنسانية.
 3. أن هذه المناهج الاستدلالية تحول بين العقل الإنساني وبين التسرع في تقرير حقيقة ما أو إنكارها وتدله على ضرورة إخضاعها للمنهج الاستدلالي الملائم لها.
- المطلب الثاني: تطبيقات المنهج الاستقرائي والدلالة على محورية مكانة العقل في الإسلام
- إن هناك الكثير من الدلائل على محورية مكانة العقل في الإسلام، ومن هذه الدلائل ما يلي:
- الأمر الأول: معطيات النصوص القرآنية والنبوية تلك المعطيات التي لم تُذكر كشذرات متفرقة بل ذُكرت ضمن نسق متكامل يغطي كافة العمليات العقلية.
- الأمر الثاني: النتائج المعرفية للأمة، هذا النتاج الذي لا يمكن فصله عن رؤية الإسلام للعقل ومحوريته في اكتساب المعارف.

وتأتي تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى علماء المسلمين لتعكس لنا تلك العلاقة الوثيقة بين كل من العقل والنقل، وإننا مطالبون إزاء هذا الاستدلال بثلاثة أمور:

الأول: بيان أن المنهج الاستقرائي صورة من صور الفعالية العقلية.

(19) بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، ص13

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية: قراءة في سياق الدلالات المعرفية

الثاني: بيان أن التطبيقات الإسلامية للمنهج الاستقرائي قد امتدت إلى أطر العلاقة بين العقل والنقل.

أما كون المنهج الاستقرائي صورة من صور الفعالية العقلية فذلك يتضح من أمرين: مفهومه الذي يدور حول تتبع الجزئيات والتوصل من خلالها إلى قانون كلي، وهذه القدرة على التعميم تعد إحدى العمليات العقلية التي كلما كان النشاط العقلي أكثر فعالية كلما كانت نتائج هذا التعميم أقرب إلى الصحة، إضافة إلى أن الاستقراء مع القياس المنطقي يمثلان حجر الزاوية في العمل العقلي مروراً من الجزئي إلى الكلي في الأول ومن الجزئي إلى الكلي في الثاني.

"هناك العديد من العمليات العقلية والأنماط الذهنية التي تكتسب من خلالها المعارف، فالمنهج الاستنباطي في التفكير يسير عكس سير المنهج الاستقرائي حيث يبدأ بالكليات، ومنه ينحدر إلى الجزئيات، لذلك فإن المنهج الاستنباطي من حيث الأساس يختبر حقائق محددة جرى اختبارها سابقاً وهو يعتمد في ذلك بصورة رئيسة على المنطق وقواعده، فهو يستخلص نتائج من القواعد والمفاهيم السابقة حيث كل عنصر منها هو نتاج فكرة سابقة أو بديهية أو فرضية من المقدمات الفكرية إلى النتائج والاحكام ومنها إلى الممارسة".⁽²⁰⁾

وقد أعطانا عبد الرحمن بدوي تفرقة بين كل من المنهجين أعني الاستنباطي الرياضي والاستقرائي التجريبي، وبين أن الطابع الأساسي للرياضة يتمثل في صورة منطقية من إيجاد العقل أما في المجال الطبيعي فالبدائية تكون من موضوعات تتشكل في التجارب الخارجية ودور العقل تجاهها يكمن في التفسير أو الوصف.⁽²¹⁾ إذا تقرر ما مضى أن المنهج الاستقرائي محور من محاور العمل العقلي فإن مفاد ذلك أن التطبيقات الإسلامية لهذا المنهج والتي امتدت لقرون متطاولة لا يمكن أن تخرج عن الصورة العامة للعقل ودوره في ضوء الثقافة الإسلامية.

⁽²⁰⁾ مجازي، راجح، العلية بين الاستنباط والاستقراء، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، ص44

⁽²¹⁾ ينظر: بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، ص128

ونحن في هذه الدراسة لا يمكن لنا أن نعرض لكافة التطبيقات الإسلامية للمنهج الاستقرائي لكننا نعرض صورا من تطبيقات هذا المنهج في مجالين لصيقين بقضية العلاقة بين العقل والنقل وهما مجالا الفقه وأصوله، فالتطبيقات الاستقرائية في كل من مجالي الفقه وأصوله تشكل الصورة المثالية لمكانة العقل في الثقافة الإسلامية وانتفاء التعارض بينه وبين النقل، حيث استطاعت العقلية الإسلامية أن توظف هذا النمط الاستدلالي بما يتطلب من أعمال للعقل في تأصيل القواعد الأصولية والتوصل إلى أحكام الكثير من الأحكام الشرعية.

إن العقلية الفقهية والأصولية استطاعت من خلال هذه المناهج الاستدلالية والتي منها المنهج الاستقرائي أن ترسم لنا مفردة من مفردات قيمة العقل في الثقافة الإسلامية وكيفية توظيف هذه الملكة العقلية في فهم النص الشرعي واستخراج الأحكام الكلية التي تظهر الأحكام الشرعية في قالب تنتظم فيه أفعال المكلفين على اختلاف أحوالها، وزودنا الغزالي بالمزيد من الأمثلة الفقهية التي يتوصل إليها من خلال المنهج الاستقرائي فذكر أن من أمثلة الاستقراء في مجال الفقه القول بأنه لو كان الوتر فرضا لما جاز أن يؤدي على الراحلة وذلك من خلال استقراءنا لجزئيات الفرض من رواتب وما يغيرها مثل صلاة الجنازة والقضاء والمنذورة وغير ذلك

وكذلك القول بعدم لزوم الوقف في الحياة حيث إنه لو كان لازما لما اتبع فيه ما يشترطه العاقد والدليل على ذلك الاستقراء، فاستقراء جزئيات ما يلزم من التصرفات من النكاح والبيع والخلع والعق وغيرها وجدها كذلك.⁽²²⁾

وقد احتج الإمام الشافعي بالاستقراء في مواضع كثيرة.⁽²³⁾

ومن أمثلة ذلك ما ذهب إليه الشافعية من أن أقل الحيض إنما هو يوم وليلة وذلك للاستقراء، وأن أكثره إنما هو خمسة عشر يوما مع ليالهن بدليل الاستقراء أيضا حيث ذكر الشافعي أنه رأى نساء ثبت عنهن أنهن كن يحضن هذه المدة.

⁽²²⁾ ينظر: الغزالي، محمد بن محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، (1993م)، ص 162

⁽²³⁾ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، ط 1، الأردن، دار الكتي، (1994م)، ج 8، ص 7

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية: قراءة في سياق الدلالات المعرفية

وحين قرروا أن أقل مدة النفاس لحظة احتجوا على ذلك بالاستقراء، وحين ذكروا أن أكثر مدته ستون يوما استدلووا كذلك بالاستقراء، وأما حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت (كانت النفساء على عهد رسول الله ﷺ تقعد بعد نفاسها أربعين يوما) فهو محمول على الغالب حتى يجمع بينه وبين دلالة الاستقراء.⁽²⁴⁾

وكان استحضار الأصوليين للمنهج الاستقرائي واضحا جليا، وأخذ حيزا من الخارطة العامة للمباحث الأصولية.

"كان الاستقراء عند علماء أصول الفقه الذين طبقوه على الفعل الإنساني أكبر عمل علمي ميزهم عن غيرهم من الشعوب والأمم، فأفردوا له قسما كبيرا من أعمالهم، وخصوه بالنقاش والملاحظات حتى أفضى في نهاية المطاف إلى علم تجريبي انتقل إلى أوروبا."⁽²⁵⁾

لقد عرف الأصوليون هذا النوع من الأدلة الاستقراء بوصفه منهجا من مناهج التفكير في الاستدلال.⁽²⁶⁾ ومن هذا المنحى التأصيلي ذكرهم لأنواع الاستقراء وبيان حجية كل نوع.⁽²⁷⁾، ونفس هذا التأصيل أورده صاحب البحر المحيط.⁽²⁸⁾

وذكر صاحب غاية الوصول أن الاستقراء التام دليل قطعي في إثبات الحكم في صورة النزاع عند الأكثر من العلماء، وقال الأقل منهم ليس بقطعي لاحتمال مخالفة تلك الصورة لغيرها على بعد وذكر أن هذا الاحتمال منزل منزلة عدم وأما الاستقراء الناقص بأن كان بأكثر الجزئيات الخالي عن صورة النزاع فظني فيها لا قطعي لاحتمال مخالفتها للمستقراً، ويسمى هذا عند الفقهاء إلحاق الفرد النادر بالأغلب الأعم، ويختلف فيه الظن باختلاف الجزئيات، فكلما كان الاستقراء فيها أكثر كان أقوى ظنا.⁽²⁹⁾

⁽²⁴⁾ ينظر: الحسيني، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصري تقي الدين الشافعي، كفاية الأخيار في

حل غاية الاختصار، تحقيق: كامل محمد عويضة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، (2001م)، ص116، 117

⁽²⁵⁾ مراحي، رابع، العلوية بين الاستنباط والاستقراء، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، ص81

⁽²⁶⁾ العمري، علي بن عبد العزيز، الاستدلال عند الأصوليين، الرياض، مكتبة التوبة، (1990م)، ص193

⁽²⁷⁾ السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي، وولده: تاج الدين عبد الوهاب، الإيهاج في شرح المنهاج، بيروت، دار الكتب

العلمية، (1995م)، (172/2)

⁽²⁸⁾ الزركشي، بدر الدين، البحر المحيط في أصول الفقه، (6/8)

⁽²⁹⁾ الأنصاري، زكريا بن محمد، غاية الوصول في شرح لب الأصول، مصر، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، (145/1)

ومن الأمثلة على استناد القواعد الأصولية على المنهج الاستقرائي أن مسائل اللغة التي بحثها الأصوليون مثل دلالة صيغة الأمر على الوجوب وصيغة النهي على التحريم وصيغ العموم وتفصيل الاستثناء قضايا أخذوها باستقراء لكلام العرب يفوق استقراء اللغويين والنحويين.⁽³⁰⁾

إننا لو ألقينا نظرة تحليلية على استعمال الفقهاء والأصوليين للمنهج الاستقرائي فيمكن أن نستخرج ما يلي:

1. أن هذا الاستعمال قد أتى متسقا مع الرؤية العامة للعقل في الإسلام بل منطلقا منها ومدلا على عمقها، وكان آلية من آليات تجاوب العقلية المسلمة مع طبيعة الحياة الإنسانية ومستجداتها.
2. أن هذا الاستعمال لم يقتصر على مدرسة واحدة من المدارس الفقهية والأصولية، بل كان قاسما مشتركا بين المدارس المختلفة مما أعطى دلالة على أنه كان منهجا استدلاليا رصينا.
3. أن هذا المنهج كان دعامة للمناحي التجديدية في هذين العلمين فوجدناه مثلا حاضرا بقوة لدى علمين من أعلام التجديد الفقهي والأصولي أعني الإمام الشافعي والشاطبي بما لهما من دور تجديدي معروف.
4. أن الفقهاء والأصوليين في استعمالهم للمنهج الاستقرائي كانوا على وعي بطبيعة المجال المعرفي الذي يستعمل فيه هذا المنهج.

⁽³⁰⁾ جغيم، نعمان بن مبارك، الاستقراء عند الأصوليين، الجامعة الإسلامية العالمية، (2006م)، ص 16

المبحث الثاني: تطبيقات المنهج الاستقرائي في سياقي الأصالة والتكامل

المطلب الأول تطبيقات المنهج الاستقرائي والدلالة على أصالة المنهجية العلمية للثقافة الإسلامية

تعد قضية أصالة التفكير المنهجي في الثقافة الإسلامية إحدى أبرز القضايا التي يتحتم البرهنة عليها نظراً لعدة أمور وهي:

الأمر الأول: أن أصالة هذا التفكير ليست قضية هامشية من قضايا الثقافة الإسلامية، بل إنها جزء لا يتجزأ من الهداية العامة التي جاء بها الإسلام، فالإسلام لم تنحصر هدايته في الهداية الروحية بل امتدت كذلك للهداية المعرفية، وكما أن هدايته الروحية مثلت تغييراً هيكلياً في المسلك الروحي الإنساني فإن هدايته المعرفية مثلت هي كذلك نفس هذا التغيير.

الأمر الثاني: أن أصالة هذا التفكير لا تنحصر في كونها حقيقة معرفية بل هي كذلك حقيقة دينية تفند الزعم الذي يجعل من العلاقة بين الدين والعلم علاقة تناقضية.

ويأتي الحديث عن المنهج الاستقرائي ليكون أحد المجالات التي تثبت من خلالها أصالة التفكير العلمي في الثقافة الإسلامية من خلال ما يلي:

أولاً: أن التأسيس لهذا المنهج كان إحدى المعطيات المعرفية للقرآن الكريم والسنة النبوية، فإذا كان المنهج الاستقرائي قد شاع استعماله في المجال الكوني الطبيعي فإنه كان لاتساع مفهوم العلم الذي ورد في القرآن محورية بارزة في تحقق ذلك؛ حيث كان من معاني مادة "علم" في الآيات القرآنية الكونيات وما يسعى الآن في البيئة المعرفية الطبيعية فقد جاءت العديد من الآيات في سورة الأنعام كان موضوعها الحث على اكتساب العلم بالآيات الإلهية الكونية منها قوله تعالى: (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها) ⁽³¹⁾

وحين حوت الكثير من الآيات القرآنية دلالات كونية فإن السبيل للتعاطي مع ذلك لا بد وأن يكون عبر منهجية علمية، "ففي آية فاطر مثلاً ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ۚ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ ۚ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝﴾

(31) ينظر: الغمراوي، محمد أحمد، في سنن الله الكونية. مطبعة لجنة التأليف والنشر، ص3

لا يدري السر في نزول الماء من السماء سوى من خلال علم بالطبيعة، ولا يدري السر في خواص الماء وتركيبه سوى من المعرفة بالكيمياء ولا يدري الإثمار والإنبات وتأثير المياه فيهما إلا من خلال العلم بالنبات، ولا يدري حقيقة الجبال وطرائقها السود والحمر والبيض إلا من خلال العلم بطبقات الأرض، ولا يدري تنوع الناس والأنعام والدواب إلا من خلال المعرفة بأصل كل من الشعوب والحيوان.⁽³²⁾

وكان تشكيل المنهجية العلمية عامة والاستقرائية خاصة لدى العقل المسلم مقصدا من مقاصد القرآن؛ لذا رأينا في عرضه للقصص لم يسلك مجرد المسلك العاطفي، بل ربط هذا العرض بتحريك التفكير الإنساني.

وإذا كان المنهج العلمي يقوم في أساسه على أصل مهم وهو المشاهدة باعتباره الطريق الذي يسلكه العلم الطبيعي للوصول إلى مقدمات صحيحة حيث لولاه ما اتسعت العلوم الطبيعية هذا الاتساع ولا نمت هذا النمو ولا كشفت ما كشفت من أسرار الخلق، فإن هذا الأصل أصل قرآني عظيم فالآيات التي تأمر بالمشاهدة واستعمال السمع والبصر والعقل كثيرة.⁽³³⁾ والعلم الحديث باكتشافاته واختراعاته قد نشأ لما أهمل الإنسان مذهب القدماء في اكتساب المعرفة من خلال التفكير المجرد وأخذ يطلب المعرفة من طريق المشاهدة مقترنة بالتفكير، لهذا تمثل أول دور من الأدوار التي نشأ من خلالها العلم الحديث في المشاهدة والتي تكاد تضيي مجردة يقتصر دور التفكير فيها على ما يضمن صحة هذه المشاهدة.⁽³⁴⁾

ولم يكتف القرآن بما تقدم بل إنه دعا إلى آيتين محورتين من آليات تحصيل المعارف وهما السير في الكون والنظر في آياته، فبالسير يجتمع للإنسان العلم الحسي والتجريبي، وبالنظر يجتمع له العلم النظري العقلي، وكلتا الآيتين تعينانه على تأمل الصنعة الإلهية مما يبعث على معرفة الله والإيمان به.⁽³⁵⁾

⁽³²⁾ ينظر: المرجع السابق، ص5

⁽³³⁾ المرجع السابق، ص11

⁽³⁴⁾ ينظر: المرجع السابق ص14

⁽³⁵⁾ ينظر: الأهل، عبد العزيز، من إشارات العلوم في القرآن الكريم، بيروت، دار النهضة الحديثة، ص22

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية: قراءة في سياق الدلالات المعرفية

إن هاتين الآيتين وغيرهما من الآليات المنهجية تنسبك مع لفت القرآن الكريم الأنظار إلى مبدأ المعيار والمقياس الذي تقاس به الأشياء، فكما أن للدراهم والدنانير ميزاناً قد عرف أهلها صحته فلكل علم ميزان نحو: الحساب للمعدودات، والهندسة للممسوحات، والعروض للشعر، والنحو للألفاظ العربية، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد : ٢٥]، وأوصى الذين أعطاهم الموازين فقال: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (١٣) وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴿[الشُّعْرَاءُ: ١٨٢ - ١٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُومُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٨٥) [هُود : ٨٥]

فكل شاكٍ أو منازع غيره في مقدار فحقه أن يعتمد ميزانه إن عرفه ويقلد أربابه إن لم يعرفه، فإن من ترك ذلك وأخذ يخرص ويحزر ويظن ويخمن لم يزل شكه ولم يسقط خلافه، فالخرص قلما يصدق والظن قلما يوافق ويحقق، ولذلك عبر بالخرص عن الكذب، فقال تعالى: (إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ)، وقال تعالى: (قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ (10)، وقال تعالى في ذم الظن: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) (28)⁽³⁶⁾

وإتماماً لذلك فقد حث القرآن على معرفة كل من الأسباب والوسائط والمسببات ليستقر في العقول والنفوس أن هذا العالم القريب من الإنسان والذي يتنقل فيه بسهولة لم يخلق سدى ولم يتم تأليفه على غير قواعد رابطة وقوانين قائمة وأن هذا الارتباط بين أجزائه قد صدر عن علم وحكمة تثير دهشة من يشاهدها.⁽³⁷⁾

ثانياً: لقد تلقت العقلية الإسلامية كل هذه التأصيلات القرآنية للمنهج الاستقرائي بمنحى تطبيقي، فانطلقت منهجيتهم العلمية المؤسسة على هذه التأصيلات قبل وصول الثقافة اليونانية إلى البيئة الإسلامية.

الخطوات التي نصوا عليها في كتاباتهم والتي توضح إلى أي مدى كانت الملاحظة والتجربة موضع الاعتبار في دراساتهم

1- الملاحظة، ومن أمثلة ذلك رسالة الرازي في الجدري والحصبة فلقد شاهد الرازي المرض ووصفه بدقة من خلال أعراضه.

(36) الأصفهاني، الحسين بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشريعة. الأصفهاني، بيروت، دار الكتب العلمية، (1980م)، ص 162

(37) ينظر: الأهل، من إشارات العلوم في القرآن الكريم، عبد العزيز، ص 16

2. التجربة عول الأطباء المسلمون على استخدام التجربة والاحتكام إليها، فالتجربة خير شاهد على صحة الرأي وصوابه، ولهذا السبب ذكر الرازي في كتابه خواص الأشياء نصوصاً متعددة عن التجربة منها قوله " بل نضيف ما أدركناه بالتجارب وشهد لنا الناس ولا نحل شيئاً عن ذلك عندنا محل الثقة إلا بعد الامتحان والتجربة له.⁽³⁸⁾

رابعاً: أن المسلمين في مطالعتهم للتراث العلمي للأُم السابقة لم يكونوا بدعا من الأُم لأن هذا الصنيع سنة حضارية "الاعتماد والابتكار هما من العوامل اللازمة لتقدم المدنية وارتقاءها بل لا تقوم حضارة ولا تزدهر ثقافة إلا عليها، فلقد اعتمد المصريون على البابليين والكلدانيين والفينيقيين، واعتمد الإغريق على المصريين كما اعتمد الرومان والهنود على من سبقهم من الإغريق وغيرهم وأخذ العرب عن هؤلاء واقتبست أوربا عن العرب وعن الذين سبقوهم."⁽³⁹⁾

وحين نتدبر التاريخ المعرفي اليوناني نفسه نجد أنه لم ينشأ في إطار وحدوي منفصل عن الإبداعات الإنسانية في الحضارات الماضية حيث إن المؤرخين قد قرروا أن اليونان تلقوا علوماً عديدة من البابليين والمصريين وزار مصر نفر من الفلاسفة اليونان لاكتساب علم الهندية منهم أفلاطون وفيثاغورس غير أن اليونانيين رتبوا هذه المعارف وجعلوها علوماً قائمة بنفسها.⁽⁴⁰⁾

ومع ما تقرر فإن المسلمين كانت لهم رؤيتهم الخاصة تجاه ما وصلهم من المنطق الأرسطي الصوري فلم يقبلوا مسأله على أنها مسلمة عقلية لا تقبل النقد أو التطوير كما أنهم خلصوا هذا المنطق من الأمثلة المستخرجة من الإطار العقدي الخاص.

إن أرسطو أفاض في مجال المنطق الاستنباطي لكنه لم يعتن كثيراً بالجانب الاستقرائي كما اعتنى بالقياس، ولذلك نجد الذين أتوا من بعده خاصة المسلمين قد أخذوا على عاتقهم معالجة مسألة العلية معالجة تكاد تكون جديدة عما ذكرها أرسطو من قبل وصار ما وصلوا إليه يعتمد كأساس للبحث في العلوم سواء كانت طبيعية أو سلوكية.⁽⁴¹⁾

⁽³⁸⁾ عبد القادر، ماهر، محاضرات في المنطق، ص142

⁽³⁹⁾ طوقان، قدرى، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، هدية المقتطف السنوية، (1941م)، ص12

⁽⁴⁰⁾ ينظر: المرجع السابق، ص13

⁽⁴¹⁾ مراحي، رايح، العلية بين الاستنباط والاستقراء، ص81

لقد كان لدى العرب إدراك بأن قياس أرسطو رياضي يبتدأ من الكليات فيطرد في الجزئيات وهذا إن صح في مجال الرياضيات فإنه لا يصح في كل من المجالين الطبيعي والإنساني لأن القياس في هذين المجالين يبتدأ من الجزئيات إلى الأمور الكلية، ومن هنا أضى الاستقراء والملاحظة من أعظم الأصول في بحث تلك العلوم ودراستها وتم ضم التجربة إلى العلوم الطبيعية، كل هذا يشهد بالعبقريّة التي كان عليها العرب وأنهم لم يكونوا مقلدين بل أضحت لهم رؤيتهم المنهجية الخاصة بهم والتي وعوا من خلالها أن القياس الأرسطي إنما هو قياس رياضي، وفهموا هذا الأمر فهما متعمقا فتمكنوا من أن يحققوا رقيا معرفيا شاملا

تجاوز حدود كل من العلوم اللغوية والدينية، وحقت تقدما كبيرا في مجالات الصيدلة، والطب والفلك والكيمياء.⁽⁴²⁾

وإذا كان الخليفة العباسي المأمون قد ارتبطت به المرحلة الأولى من مراحل ترجمة التراث اليوناني فإنه كان لديه وعي ذاتي أصيل باستعمال المنهج الاستقرائي حيث قرر أن يحدد القياس الدقيق لمحيط الأرض فأمر فريقا من المهندسين فيه سند بن علي وخالد المروزي وفريقا آخر فيه علي بن عيسى الأسطرلابي وعلي بن البحري أمرهما بأن يذهبا نحو بقعتين متباينتين ثم يقوما بقياس واحدة من محيط الأرض على الدائرة العظمى.⁽⁴³⁾

انطلاقا مما مضى فلا يمكن أن نقبل رأي الدكتور عبد الرحمن بدوي حين ذكر أنه فيما عدا بعض التفصيلات الفرعية الصغيرة مثل الأقيسة المؤلفة من شريطيات فقط لا نكاد نجد لابن سينا شيئا يضيفه على منطق أرسطو وشراحه.

إن رأى بدوي هذا لا يشير إلى أنه قام بإجراء تحليل ابستمولوجي وميثودولوجي لمنهج ابن سينا العلمي، ومن ثم لا يكشف عن حقيقة موقفه العلمي. وربما كان ما يقصده الدكتور بدوي ينسحب على ميدان المنطق الصوري البحث لا ميدان المنطق المادى الاستقرائي الذي يتصل بالبحث في الطبيعة والواقع المحسوس.⁽⁴⁴⁾

⁽⁴²⁾ ينظر: أصول البحث الأدبي ومصادره، مقرر دراسي بمرحلة الماجستير، جامعة المدينة جامعة المدينة، ص102

⁽⁴³⁾ فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، ط3، دار العلم للملايين، (1980م)، ص23

⁽⁴⁴⁾ عبد القادر، ماهر، مناهج العلوم عند المسلمين قديما وحديثا، ص44

وحين كان ابن الهيثم أحد رواد المنحى التطبيقي للمنهج الاستقرائي فإنه جعل من امتلاك الملكة النقدية ضرورة معرفية لتوظيف هذا المنهج حيث قام بنقد التصورات العلمية والنتائج التي انتهت إليه كما هو الحال في كتابي "الشكوك على بطليموس" و"الشكوك على أقليدس" مما يعنى أنه فهم الدور الحقيقي للنقد العقلي المتمثل في ابستمولوجيا تواصل الاتصال العلمي.⁽⁴⁵⁾

إن موقف الحسن بن الهيثم من التقليد قد مثل الأساس الذي تلقى من خلاله المنهجيات العلمية السابقة عليه مما أعطانا منطلقاً معرفياً مهماً بالنسبة للفكر العربي بصفة عامة لأنه يطلعنا بصورة مباشرة على مكونات البنية العلمية للمنطلق العلمي العربي؛ ذلك أن العلماء العرب اعتقدوا أن البحث العلمي لا بد وأن يرتبط بالخبرة والعقل، ولا يمكن قبول النتائج أو النظريات أو الآراء لمجرد أنها جاءت إلينا من العلماء الثقة. لا بد إذن من تطهير العقل قبل البحث ليمتلك العالم زمام ملكته النقدية.⁽⁴⁶⁾

وفي هذا السياق تقرر "هونكه أن الإغريق سرت بينهم رغبة في البحث الحق، وملاحظة الجزئيات، ولكنهم تقيّدوا دائماً بسيطرة الآراء النظرية، ولم يبدأ البحث العلمي الحق القائم على الملاحظة والتجربة إلا عند العرب، فعندهم فقط بدأ البحث الدائب الذي يمكن الاعتماد عليه، يتدرج من الجزئيات إلى الكلّيات، وأصبح منهج الاستنتاج هو الطريقة العلمية السليمة للباحثين. وبرزت الحقائق العلمية كثمرة للمجهودات المضنية في القياس والملاحظة بصبر لا يعرف الملل، وبالتجارب العلمية الدقيقة التي لا تحصى، اختبر العرب النظريات والقواعد والآراء العالمية مراراً وتكراراً؛ فأثبتوا صحة الصحيح منها، وعدّلوا الخطأ في بعضها. ووضعوا بديلاً للخاطئ منها متمتعين في ذلك بحرية كاملة في الفكر والبحث، وكان شعارهم في أبحاثهم الشك هو أول شروط المعرفة - تلك هي الكلمات التي عرفها الغرب بعدهم بثمانية قرون طوال.⁽⁴⁷⁾

⁽⁴⁵⁾ المرجع السابق، ص40

⁽⁴⁶⁾ عبد القادر، ماهر. مناهج العلوم عند المسلمين قديماً وحديثاً ص52

⁽⁴⁷⁾ هونكه، سيجريد، شمس الله تشرق على الغرب = فضل العرب على أوروبا، ترجمه وحققه وعلق عليه، فؤاد حسنين علي، ط2، دار العلم العربي، (1432هـ)، ص401

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية: قراءة في سياق الدلالات المعرفية

وقد اعترف بعض مؤرخي العلم من الغرب بهذا التميز الإسلامي في المنهجية العلمية حيث اعترف سارطون وسميث وكاجوري وبول بأن العرب أخذوا بعض النظريات عن اليونان وفهموها جيداً وطبقوها على حالات كثيرة مختلفة ثم كونوا من ذلك نظريات جديدة وبحوثاً مبتكرة فهم بذلك قدموا للعلم خدمات جليلة لا تقل عن الخدمات التي أتت من مجهودات كبار رجال الاختراع والاكتشاف في الغرب.⁽⁴⁸⁾

ولم يقتصر توظيف المنهج الاستقرائي في التراث الإسلامي على النقد الخارجي للتراث اليوناني وغيره، بل امتد كذلك للمنحى النقدي داخل التراث الإسلامي ذاته، فقد كان هذا المنهج أحد الآليات النقدية التي اتبعها علماء الأمة في محاوراتهم العلمية، ومن الأمثلة لذلك ما عرف بالاستدراك الاستقرائي: وعرف بأنه طريقة التعقيب على الخصم بتتبع جزئيات لإثبات حكم كلي مخالفاً لحكمه في نفسه.⁽⁴⁹⁾

ولهذا الاستدراك الاستدراكي أمثلة كاستدراك أمير بادشاه على القائلين بأن صيغة الأمر بعد الحظر تفيد الوجوب باستقراء أدلة الشرع بعد الحظر والتي أفادت الإباحة، ولا سبيل لمنع كون هذه الصيغة للإباحة إلا بمنع صحة الاستدلال بالاستقراء.⁽⁵⁰⁾

إننا بعد عرض ما مضى يمكن أن نتوصل إلى طبيعة الحضارة الإسلامية بناء على المعيار الذي قدمه لنا عبد الرحمن بدوي للحكم على أي من الحضارات وهو موقفها من التراث الإنساني للحضارات الأخرى سواء في حالة الأخذ عنه أو في حالة نقدها⁽⁵¹⁾

إننا لو سرنا على هذا المعيار لاستطعنا أن نحكم على الثقافة الإسلامية بأنها ثقافة أصيلة حيث انفتحت على التراث الإنساني، لكنها في الوقت ذاته أبدعت فيما يلي:

1. توسيع الأفق المعرفي للنافع من هذا التراث.

2. إخراج التفكير العقلي من تجريده المغالي فيه إلى السمات الواقعي.

⁽⁴⁸⁾ طوقان، قدرى، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص3

⁽⁴⁹⁾ سالم، إيمان، الاستدراك الأصولي، دراسة تأصيلية تطبيقية على المصنفات الأصولية من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر هجرياً، رسالة: دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1436 هـ - 2015 م)، ص539

⁽⁵⁰⁾ المرجع السابق، ص545

⁽⁵¹⁾ ينظر: بدوي، عبد الرحمن، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين ألف بينها عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ص و

المطلب الثاني: تطبيقات المنهج الاستقرائي والدلالة على تكامل المنهجية العلمية

بالرغم من عظم التطبيقات الإسلامية للمنهج الاستقرائي لم يكن هو المنهج الوحيد الذي اعتمد عليه رواد المعرفة في الإسلام بل إنهم وعوا بأن هناك مصادر عدة للمعرفة ما بين وحي إلهي ومناهج عقلية متنوعة استنباطية كانت أم استقرائية، وبهذا تجاوزت الثقافة الإسلامية تلك الإشكالية التي تمثلت في النظرة الأحادية إلى مصادر المعرفة التي أوجدت رؤى متناقضة في اكتساب المعرفة أدت إلى التنكر للقوة العقلية أحيانا أو للمصدر الحسي أحيانا أو للوحي الإلهي أحيانا أخرى.

وإننا لو تتبعنا الخلل الذي عرفه التاريخ المعرفي الإنساني لوجدنا أنه كان في صور كثيرة نتيجة الخلل في الوعي بمصادر المعرفة ووقوع الإنسانية في مسارات ما بين الفعل ورد الفعل، فهناك من جعل من القوة العقلية المصدر المعرفي الوحيد القادر على اكتساب أي من المعارف مع نظرة دونية إلى أي منهجية استدلالية تخالف هذا المصدر، وهناك من جعل الحواس وحدها ذاك المصدر.

إن علماء الأمة لم يقفوا في هذه الإشكالية بسبب العديد من الأمور، ومنها ما يلي:

الأمر الأول: حفظ هذا الدين من خلال حفظ مصدريه القرآن والسنة، وبالتالي ظل هذا الدين صافيا لم تحرف أصوله العقدية والتشريعية والخلقية مما عصمه من أن يكون نتاج أهواء بشرية محدودة الزمان والمكان تنجرف مع التطورات المعرفية.

الأمر الثاني: الثراء العقلي الذي حواه هذا الدين مما رسخ لدى المسلمين مكانة العقل وحتمية توظيفه بجميع مناهجه الاستدلالية.

الأمر الثالث: تطور العلوم الدينية مما لم يحدث في أي من الأمم على مدار التاريخ الإنساني مما جعل هناك حاجة لاستعمال كافة مصادر المعرفة جنبا إلى جنب دون أي حرج أو خشية من وقوع التعارض.

إن هذه الأمور الثلاثة وغيرها قد حققت ما يمكن أن نسميه التكامل في المنهجية العلمية للثقافة الإسلامية، فهذه المنهجية رغم اعتدادها بالمنهج الاستقرائي لم تجعله المنهج الوحيد الصالح لكل مجالات المعرفة بل وجدنا رواد الثقافة الإسلامية وهم يبينون المنهجية

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية: قراءة في سياق الدلالات المعرفية
المعرفية الإسلامية يؤكدون على اتساع هذه المنهجية وتشعب مناهجها التي تكتسب من
خلالها أنماط المعرفة.

يقول الأصفهاني: "والطرق التي يستفاد منها العلوم أربعة أضرب:

الأول: المستفاد من بديهية العقل ومصادمة الحس، وذلك يحصل لكل من لم يكن موقوف
الآلة وإن اختلفت أحوالهم في ذلك.

الثاني: المستفاد من جهة النظر إما بمقدمات عقلية أو بمقدمات محسوسة.

الثالث: المستفاد بخبر الناس إما بسماع من أفواههم أو بالقراءة من كتبهم، ولا يكون الخبر
علمًا إلا إذا كانت المظنة عن الخبر به مرتفعة.

الرابع: ما كان عن الوحي إما بلسان ملك مرئي، كما قال تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193)
عَلَى قَلْبِكَ) وإما بسماع كلامه تعالى من غير مصادفة عين كحال موسى - ﷺ -، وإما بإلقاء في
الروح في حال اليقظة، كما قال - ﷺ -: "إن يكن في هذه الأمة محدث فهو عمر"، وإما
بالمنام وهو المعني بقوله - ﷺ -: "الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة"
(52)، وينطوي على ذلك قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ)" (53)

إن كلام الأصفهاني يعطينا العديد من الدلالات منها ما يلي:

- تعدد المجالات المعرفية يتطلب تعددا في المنهجية الموازية لكل مجال منها.
- ليس هناك تعارض بين استعمال النظر العقلي والاستناد إلى الحس بل إنها مصادر
معرفية يكمل بعضها بعضا.
- الوحي الإلهي هاد لكل الملكات الإنسانية ومنافذ المعرفة حسا كانت أم عقلا.

(52) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط1 (1422هـ)، أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب: الرؤيا
الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ج9، ص31، رقم 6989
(53) الذريعة إلى مكارم الشريعة. الحسين بن محمد الأصفهاني، ص142.

والإمام الشافعي مع اعتداده بالمنهج الاستقرائي برز لديه التكامل في المنهجية العلمية حيث بين تنوع ما تعبد الله به خلقه بين منصوص عليه وكان النص عليه بيانه مثل الفرائض المقررة من صلاة وصيام وزكاة وحج ومنه: ما سنَّه النبي ﷺ مما ليس لله فيه نص من النصوص المحكمة.

وقد افترض الله تعالى في قرآنه طاعة رسوله ﷺ والوقوف عند حكمه فمن يقبل عن رسول الله فهو يقبل بفرض الله، ومنه الذي افترض فيه الله على عباده أن يجتهدوا في طلبه واختبر طاعتهم في هذا الاجتهاد كما اختبرها في طاعتهم في المأمور به مما افترضه عليهم.⁽⁵⁴⁾

وحين ننظر إلى رواد الثقافة الإسلامية الذين نظروا للمنهج الاستقرائي نجد أنهم أكدوا في الوقت ذاته على تكامل المنهجية العلمية، فابن حزم أعطانا بياناً واضحاً للمنهج الاستقرائي، فذكر أن مفاد هذا اللفظ أن تتبع أشياء موجودة بعقلك هذه الأشياء تقع تحت نوع واحد وجنس واحد وهي يحكم فيها بحكم واحد فتجد في كل فرد من أفراد هذا النوع أو في كل نوع من الأنواع التي تقع تحت هذا الجنس صفة لازمت كل فرد يقع تحت النوع أو في كل ما يقع تحت الجنس من أنواع أو في كل فرد من المحكوم فيهم.⁽⁵⁵⁾

وقد تولى ابن حزم الرد على من رام إنكار حجج العقول وظن أن الخبر وحده كاف في التوصل إلى الأحكام، وبين أن الخلل لا يكمن في الاستدلال العقلي بل في الاستدلال الفاسد.⁽⁵⁶⁾

ولم يكن رد ابن حزم على من أنكر حجج العقول معناه انحصار مصدرية المعرفية فيها؛ لذا رأيناه يقرر أن القرآن الكريم قد تبين بالمعجزات والبراهين أنه عهد الخالق إلينا والذي أوجب علينا العمل بما فيه وأنه قد صح صحة لا شك فيها لذا فهو الأصل الذي يتحتم الرجوع إليه⁽⁵⁷⁾

⁽⁵⁴⁾ ينظر: الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، ط1، مصر، مكتبة الحلبي، (1940م)، ص21

⁽⁵⁵⁾ ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت، دار مكتبة الحياة، (1900م)، ص163

⁽⁵⁶⁾ السبكي، تقي الدين وتاج الدين، الإبهاج في شرح المنهاج (14/1)

⁽⁵⁷⁾ ينظر: المرجع السابق (95/1)

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية: قراءة في سياق الدلالات المعرفية

وإذا كنا قد بينا سابقاً أن الأصوليين والفقهاء قد أبدعوا في تطبيق المنهج الاستقرائي فليس ذلك معناه أنه كان منهجهم الوحيد بل كانت لهم أدلة أخرى كثيرة مثل الاستصحاب والاستحسان ومذهب الصحابي والعرف والمصلحة المرسلّة وسد الذرائع وشرع من قبلنا وغير ذلك.⁽⁵⁸⁾

خلاصة ما مضى أن المسلمين استطاعوا أن يقيموا توازناً في استخدام المناهج الاستدلالية المختلفة، ولم يكن تاريخهم المعرفي رهناً لاتجاه استدلالي واحد عقلياً كان أم حسياً.

إن هذا التكامل في المنهجية العلمية الذي أصلته الثقافة الإسلامية وانطلق منه روادها عبر تاريخهم المعرفي الممتد عبر القرون قد غير وجهة المنهجية المعرفية لدى رواد الفكر الغربي، فأضحوا يؤكدون على ضرورة هذه الشمولية بدلاً من الانشطار الذي تقاسمته الأدبيات الغربية في العصور الوسطى.

يقول بيكون: إن التجريبيين (الذين لا يعتمدون إلا على مجرد الملاحظة والتجربة) يشبهون النمل الذي لا يفعل شيئاً سوى أن يكسب مواد الغذاء لكي يستهلكها بعد ذلك؛ أما العقليون الذين يتبعون الطريقة القياسية الصرفة فيشبهون العناكب التي تستمد من نفسها مادة نسيجها برمتها، دون أن تستعير من الخارج شيئاً، أما الفيلسوف الحق فيجب أن يكون كالنحلة التي تجنى من كل جانب - أي من زهور الحقائق والحقول - المواد التي تستخدمها في صنع شهدها؛ وذلك عندما تحولها وتهضمها بفضل طبيعتها الخاصة؛ كذلك يجب على العالم ألا يعتمد على قواه العقلية فحسب، كما يجب عليه ألا يملأ عقله بمواد التاريخ الطبيعي والتجارب الحركية بل يجب أن يعد لها عقله وأن يهضمها.⁽⁵⁹⁾

ويذكر كلود برنار أن هناك اختلافاً ينبغي أن يستحضر بين روح كل صاحب فن من فنون المعرفة مثل علم وظائف الأعضاء وعلم الكيمياء وعلم الفيزياء والتعاليم التي تصدر عن الممارسات التجريبية في علم ما من العلوم.⁽⁶⁰⁾

(58) ينظر: العمري، الاستدلال عند الأصوليين، ص 271

(59) قاسم، محمود، المنطق الحديث، ص 19

(60) ينظر: بدوي، عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، ص 8

ويلخص كلود برنارد فكرته عن المنهج الحديث فيذكر أن المنهج التجريبي الذي ينظر إليه في حد ذاته ليس إلا ضرباً من الاستدلال العقلي الذي نستعين به على إخضاع آرائنا بطريقة منهجية منظمة لمعيار الظواهر.⁽⁶¹⁾

ونفس الأمر يقرره فنت حيث يذكر أن هناك ارتباطاً وثيقاً باطنياً بين مناهج البحث لدرجة أنه يتعذر وجود مشكلة من المشكلات المركبة لا تساهم جميعها في التوصل إلى حل لها وليس الأمر مقصوراً هنا افتراض المنهج التالي منهجاً آخر سابقاً بل نجد تداخلاً للمناهج اللاحقة في المناهج السابقة أيضاً.⁽⁶²⁾

إن معنى هذا أننا يجب ألا نغالي في توكيد هذا الاختلاف في مناهج العلوم تبعاً لاختلافها فإن وراء هذه المناهج كلها وحدة العقل الإنساني، والحقيقة أن الفصل بين مختلف المناهج بالنسبة إلى أي علم من العلوم يكاد يكون مستحيلاً.⁽⁶³⁾

⁽⁶¹⁾ قاسم، محمود، المنطق الحديث، ص25

⁽⁶²⁾ ينظر: بدوي، مناهج البحث العلمي، ص10

⁽⁶³⁾ بدوي، مناهج البحث العلمي، ص13

المبحث الثالث: تطبيقات المنهج الاستقرائي في السياقين السنني والحضاري

المطلب الأول: تطبيقات المنهج الاستقرائي في السياق السنني

رغم أن استخدام المنهج الاستقرائي كان إحدى الآليات المعرفية التي تعامل بها الإنسان مع الكون إلا أن منطلقات هذا التعامل تختلف حسب الرؤية العامة التي ينظر من خلالها لهذا الكون، وحين نتدبر استخدام هذا المنهج من قبل علماء المسلمين نجد أنهم قد انطلقوا من الوعي بالسنن التي أودعها الله في هذا الكون مما جنهم التصور الخيالي له هذا التصور الذي لم تسلم منه أفكار بعض رواد الحضارات

"ففيثاغورث مثلاً يقول عن الكون إنه متفرد كامل كروي لأن الكرة أكمل الأشكال، وإنه حي عاقل لأن ما هو حي وعاقل خير مما ليس بحي ولا عاقل، فمثل هذا النوع من الاستنتاج الخيالي غير المرتكز على حقائق يقينية ينكره العلم الحديث كما ينكره القرآن، ومن هنا وقع قدماء الفلاسفة من اليونان في أغلاط كثيرة من حيث لا يشعرون." (64)

إن معنى هذا أن انطلاق العقلية الإسلامية من التصور الإسلامي للكون والذي تقبع السنن في مقدمته ضمن للتفكير التجريبي الإسلامي رؤية أكثر واقعية وأسرع ارتباطاً بالحقائق الكونية.

"إن المنهج العلمي ينبني على افتراضات أساسية عن أمور الطبيعة وهذه الافتراضات تترك أثرها المباشر على كافة الأنشطة التي يمارسها الباحثون حيث تمثل الأصل الذي يجرون عليه عملياتهم والسبل التي يتبعونها في تطبيقها بل تتدخل كذلك في النتائج التي تنبع عن تجاربهم." (65)

وقد عرّف الغمراوي سنن الله الكونية بأنها النظم التي فطر الله عليها الخلق، فكل ما اشتملت عليه هذه النظم وكل ما اتصل بطبائع الأشياء وخصائصها وعلاقات بعضها ببعض داخل في علم سنن الله الكونية. (66)

(64) الغمراوي، في سنن الله الكونية ص13

(65) ينظر: دالين، ديوبولد بفان، مناهج البحث في علم النفس والتربية، مكتبة الأنجلو المصرية (1977م)، ص46

(66) الغمراوي، في سنن الله الكونية، ص3

وأعطانا الغمراوي الفارق بين الانطلاق من مجرد مفهوم العلوم الطبيعية والانطلاق من الوعي بمفهوم السنن الكونية فذكر أن البحث في مجال العلوم الطبيعية يأتي حبا في اكتشاف حقيقتها من وجهة وتحقيق النفع بها من وجهة أخرى بينما في علم السنن الكونية يبحث عن طبيعة الأشياء من الوجهتين الماضيتين، وكذلك من وجهة دلالة طبائع هذه الأشياء على خالق الكون.⁽⁶⁷⁾

يتبين لنا من خلال ما مضى أن التعاطي مع السنن الكونية ليس سبيله فحسب التأمل النظري المجرد بل لا بد وأن تكتمل الدائرة من خلال اكتشاف هذه السنن والسير في استكناه أسرارها، وهذا لن يكون سوى بمنهجية علمية يأتي الاستقراء على رأسها.

"إن الطريق الواحد المفتوح أمام العلماء لاكتشاف قوانين الفطرة أو سنن الله في الكون كما ينبغي لنا أن نسميها هو الاجتهاد في انتزاع كل قانون من مجموعة الوقائع الصادرة عنه أو بعبارة أخرى من الوقائع التي هي من باب واحد وذلك إما بالاستقراء إذا كان عدد الوقائع كبيرا وكان القانون في ذاته بسيطا وإما بالتلمس إذا كان عدد الوقائع قليلا أو كان القانون خفيا أو كان أكثر تعقيدا."⁽⁶⁸⁾

إن السنن الكونية ينبغي أن توضع في نطاقها الصحيح من كونها السبيل للتوصل إلى الحقائق العلمية والقوانين الكلية لأنها تضع أمام العقل الإنساني طائفة من الأحداث المتوالية التي يربطها رابط واحد وتمشي على نسق متحد حيث يعد حصر الخبرات والحقائق والأحداث التي يكتنفها التشابه من أولى الخطوات التي يعتمد عليها الفرد للتوصل إلى معارف مفيدة، وقد درج الإنسان على تصنيف الظواهر المتشابهة إبان بحثه عن إجابات لإشكالياته.⁽⁶⁹⁾

⁽⁶⁷⁾ ينظر: المرجع السابق، ص3

⁽⁶⁸⁾ المرجع السابق، ص17

⁽⁶⁹⁾ ينظر: دالين، ديوبولد بفان، مناهج البحث في علم النفس والتربية، ص46

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية: قراءة في سياق الدلالات المعرفية

إن المنهج الاستقرائي يقوم بالأساس على تقنين أحداث الطبيعة والافتراض بأن ما حدث في الماضي سوف يحدث ثانية في المستقبل، وإذا كان هذا الافتراض افتراضاً زائفاً فلن نستطيع أن نضع تصميمًا أو تخطيطاً لإجراء وضبط أية تجربة ولن نستطيع أن نتنبأ بما سيحدث في المستقبل، وإذا وجب على العالم أن يعالج كل ظاهرة على أنها حدث شاذ وليست حدثاً محتملاً فقد سلب الأدوات التي يواجه بها المشكلات.⁽⁷⁰⁾

إن التعاطي الفعال مع السنن الكونية لا يكون باستخدام تعبيرات غامضة في وصف الظواهر كالتخمين أو التقريب والاكتفاء بكتابة أوصاف عامة، بل لا بد من استخدام منهجية علمية يتم فيها تكرار الملاحظات ومقارنة النتائج بالنتائج الأخرى واستعمال الموازنة والقياس والاختبار والتقدير بدقة للظاهرة موضع البحث وتسجيل وصف محدد واضح مفصل لما يلاحظه.⁽⁷¹⁾

إننا يمكننا القول بأن المسيرة العلمية الإنسانية هي في الحقيقة سير نحو استكشاف المزيد من معطيات السنن الكونية، من هنا فإن القدرة على التوصل إلى أكبر كمٍّ من القوانين الكلية عن طريق مناهج الاستدلال المختلفة ومنها الاستقراء هو الذي تتحدد من خلاله القيمة المعرفية

"فالفروض والنظريات والقوانين جميعها تعميمات تتزايد درجة عموميتها بالتدرج، ولما كان التعميم الذي يعطينا أشمل تفسير هو أعظمها قيمة فإن القانون إذن أعظم أهمية من النظرية أو الفرض، فالتعميم الذي يفسر مثلاً حركة كوكب واحد مفيد ولكن القانون الذي يفسر حركة كل الكواكب أعظم فائدة بكثير."⁽⁷²⁾

وإذا كان من الأصول التي يقوم عليها العلم الإنساني عامة والمنهج الاستقرائي خاصة أصل الاطراد في وقوع الحوادث فإن هذا الأصل قد أشار إليه القرآن الكريم أثناء تأصيله لمفهوم السنن الإلهية مثل آية الأحزاب (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً) وآية فاطر (فهل ينظرون إلا أن تأتيهم سنة الأولين).⁽⁷³⁾

⁽⁷⁰⁾ ينظر: المرجع السابق ص53

⁽⁷¹⁾ المرجع السابق ص56

⁽⁷²⁾ المرجع السابق ص59

⁽⁷³⁾ الغمراوي، في سنن الله الكونية، (1936م)، ص10

إن الوعي بالسنن الإلهية يجنب الفكر الإنساني الاستسلام لفكرة المصادفة وصلاحياتها لتفسير الظواهر الطبيعية حيث إن الصدفة لا تعطي تفسيراً لشيء ولا تتوافق مع روح المعرفة وطبيعتها فهي ليست إلا دليلاً على جهل الإنسان وعجزه، فما يظهر أنه صدفة في منظور الجاهل لا يظهر كذلك في منظور العالم والصدفة ليست كما يذكر هنوي بوانكاريه إلا معياراً لجهلنا.⁽⁷⁴⁾

لقد انطلقت العقلية الإسلامية في استعمال المنهج الاستقرائي من وعي بالسنن الكونية باعتبارها مظهراً من مظاهر القدرة الإلهية؛ لذا رأينا ابن سينا في كتابه القانون يجعل من اكتشاف أسرار البدن الإنساني دلالة في الوقت ذاته على عظم الأسرار الإلهية المودعة فيه.

يقول ابن سينا: "واعلم أن الصفراء المتحلبة إلى المرارة هي ما يستغني عنه الدم. والمتحلبة عن المرارة هي ما تستغني عنه المرارة. وكذلك السوداء المتحلبة إلى الطحال هي ما يستغني عنه الدم. والمتحلبة عن الطحال هي ما يستغني عنه الطحال. وكما أن تلك الصفراء الأخيرة تنبه القوة الدافعة من أسفل كذلك هذه السوداء الأخيرة تنبه القوة الجاذبة من فوق فتبارك الله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين."⁽⁷⁵⁾

إن هذه العبارة التي ختم بها ابن سينا كلامه (فتبارك الله أحسن الخالقين وأحكم الحاكمين) تعطي دلالة على أن الحقائق العلمية في الإسلام ليست منفصلة عن سياق الرؤية الإسلامية الكونية.

وقال ابن سينا أيضاً في نفس السياق: "الفصل الخامس تشريح عضل الجفن، وأما الجفن فلما كان الأسفل منه غير محتاج إلى الحركة إذ الغرض يتأتى ويتم بحركة الأعلى وحده فيكمل به التغميض والتحديق، وعناية الله تعالى مصروفة إلى تقليل الآلات ما أمكن إذا لم يخل، وإنه وإن كان قد يمكن أن يكون الجفن الأعلى ساكناً والأسفل متحركاً لكن عناية الصانع مصروفة إلى تقريب الأفعال من مبادئها وإلى توجيه الأسباب إلى غاياتها على أعدل طريق وأقوم منهاج."⁽⁷⁶⁾

⁽⁷⁴⁾ ينظر: قاسم، المنطق الحديث، ص33

⁽⁷⁵⁾ القانون، ابن سينا، الحسين بن عبد الله، (33/1)

⁽⁷⁶⁾ المرجع السابق، ج1، ص33

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية: قراءة في سياق الدلالات المعرفية والحقيقة أن فهم ابن سينا للاستقراء العلمى فهما منطلقا من السنن الإلهية أتاح له أن ينطلق إلى تطبيق رائع للمنهج التجريبي في دراساته العلمية، حيث أقام نظريته في كتابه القانون وغيره من المؤلفات الأخرى على التجربة المسبوقة بالملاحظة بصورة متسعة مما يبرهن على عقليته الشاملة والتي تجمع بين كل من النظرية والتطبيق وقد اعترف مفكروا الغرب بتلك المكانة السامية التي يتبوأها ابن سينا في محيط البحوث العلمية عربيا وعالميا.⁽⁷⁷⁾

إن ما مضى يبين لنا الارتباط الجوهرى بين تاريخ المنهج الاستقرائي لدى المسلمين واكتشاف السنن الكونية التي دفعهم إليها الإسلام، وأن هذا الارتباط لا بد وأن يصنف كأحدى الدلائل على عِظَم الانطلاقة المعرفية التي جاء بها الإسلام.

المطلب الثاني: تطبيقات المنهج الاستقرائي في سياق الواقع الحضاري

إذا كان من إحدى السبل لكشف الحقائق المقارنة بين الأشياء فإن مقارنة حال الأمة الراهن بحالها الماضي يوصل إلى حقيقة مفادها أن هناك تراجعاً حضارياً في الواقع الذي تحياه الأمة.

وحين حلل شكيب أرسلان أسباب تأخر المسلمين ذكر أن منها ذاك الجمود الذي سيطر على بعض المنتسبين للإسلام والذي كان من صوره التنكر لإعمال العقل وانحسار ملكاته خاصة في العلوم الطبيعية والفلسفية والرياضية مما حرم المسلمين ثمرات تلك المعارف وتسبب في شيوع الفقر المادي وترك تلك العلوم للغرب يجني ثمراتها التي اقتضت الحكمة الإلهية أنها تؤتي ثمارها لمن سعى إليها.⁽⁷⁸⁾

إن معنى هذا أن تراجع المسلمين الحضاري نتج عن تراجع تفعيل المنهجية العلمية والتي يقع الاستقراء في موقع محوري منها، فاستعمال المنهج الاستقرائي صورة من صور الفعالية العقلية والتي هي بدورها ركن من أركان الفعالية الحضارية المنشودة لإصلاح واقع الأمة، تلك الفعالية التي تنشئ حراكاً حضارياً؛ لذا جعلها ابن خلدون قاسماً لإنسانياً مشتركاً بين الأمم فمن أخذ بها ترقى في سلم العمران.⁽⁷⁹⁾

⁽⁷⁷⁾ ينظر: عبد القادر، ماهر، مناهج العلوم عند المسلمين قديماً وحديثاً، ص52

⁽⁷⁸⁾ أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، مؤسسة هندواي، (2017م)، ص59

⁽⁷⁹⁾ ينظر: الجوادى، رياض بن علي، الفعالية الحضارية للإسلام بين حقائق التاريخ والصورة النمطية، ط2، تونس، دار

إن استحضر إبداعات المسلمين في استعمال المنهج الاستقرائي تؤكد على أن الخلل لا يكمن أبداً في طبيعة العقل المسلم مما يعطينا دليلاً من أدلة فساد تلك النظرية العرقية في الحضارة والتي تقصر الفعل الحضاري على العرق الآري حيث إننا لا يمكن أن ننظر إلى العلوم الطبيعية نظرة غريب عنها، فالمسلمون: "طهروا الفلك من أدران التنجيم، وصححوا الكثير من الآراء التي جاء بها فلاسفة اليونان كما نبذوا النظريات التي لا تستقيم مع العقل في الطبيعة والكيمياء، وأطاحوا بالخرافات التي تسود بعض فروع المعرفة."⁽⁸⁰⁾

ولقد كان استحضر التطبيقات الإسلامية لاستعمال المنهج الاستقرائي وغيره من المناهج حجة استعمالها شكيب أرسلان لتفنيد الزعم الذي يدعى فيه عدم قابلية المسلمين للقيام بالمشروعات العمرانية

والأعمال المادية وكل ما يتعلق به حساب ورقم أو مساحة وقياس فتساءل إذا كان المسلمون من طبيعتهم ألا يجيدوا هذه العلوم وفقاً لهذا الزعم فكيف تمكنوا من ترك هذه الآثار الماهرة التي يقصدها السياح من آفاق الأرض؟ وكيف استطاعوا أن يملئوا الشام ومصر والمغرب والعراق وغيرها بما يبهّر الأنظار وتحتار معه الأفكار حيث كانت لهم مناسج ومعامل ودور للصناعات وغير ذلك من دلائل العمران؟⁽⁸¹⁾

وحين نؤكد على محورية استحضر وتفعيل المنهج الاستقرائي في تجاوز الأزمة الحضارية للأمة فإننا نؤكد في الوقت ذاته على ضرورة التكامل مع المكون الروحي والتربوي العام لأن نجاح المنهج الاستقرائي إبان فترة ازدهار الحضارة الإسلامية لم يكن حلقة منفصلة عن السياق العام الذي غير به الإسلام من المكونات الإنسانية أعني العقل والروح.

وإذا كنا قد عرّفنا الحضارة بأنها درجة عالية من الفعالية التاريخية، فإن "الانهيار في جوهره هو تراجع متدرج لتلك الفعالية، وتخامد للطاقة المحركة يتناسب وغياب الدافع، وقد كانت الفكرة هي الدافع الجوهري للحركة التاريخية وهي خزان طاقتها، بما تتضمنه من قيم ومصالح، فإذا ضعف سلطان الفكرة بدأت القيم بالانفصال عن المصلحة، لتغدو الأخيرة الدافع المباشر، ولا يعيق انسحاب القيم حركة ازدهار المادي، بل على العكس، قد

⁽⁸⁰⁾ طوقان، قدرى، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص 1

⁽⁸¹⁾ ينظر: أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، ص 90

تطبيقات المنهج الاستقرائي لدى رواد الثقافة الإسلامية: قراءة في سياق الدلالات المعرفية
تصل الحضارة ذروتها المادية في مرحلة احتضار القيم، ما دام الدافع المصلحي فعالاً، فهو ملائم لملاءمة قياسية لذلك النوع.⁽⁸²⁾

وبين لنا الأصفهانى أن الملكة العقلية لا بد لها من الاهتداء الروحي حتى تستحق أن تكون مميزة للنوع الإنساني، حيث ذكر أن الإنسان يصير بالعقل إنساناً ولو تخيلنا ارتفاع العقل عنه لخرج عن أن يكون إنساناً ولم يكن إذا غضضنا الطرف عن الشبح الذي يمثل أماننا سوى صورة، وهذا العقل لا يكتمل بل لا يسى على الحقيقة عقلاً سوى باهتدائه بالشرع والاهتداء بهذا الشرع يكون بعبادته تعالى، فالإنسان في الحقيقة هو من يعبد الله تلك العبادة التي خلق لها فكل الذي أوجد لفعل ما ولم يؤده أضى في حكم المعدوم كما يقال هذا لا عين له حين يبطل عملها مع وجود شبحها.⁽⁸³⁾

إن معنى ما مضى أن سعينا في إنماء المنهجية العلمية في الواقع الإسلامي لأبد وأن يكون ضمن إطاره التربوي والروحي والذي ينطلق من هداية الوحي الإلهي كتاباً وسنة.

خاتمة:

أولاً: نتائج البحث

1. تعددت التعريفات الاصطلاحية للاستقراء، وهذا التعدد ناشئ بالأساس من تشعب المجالات التي تتناول هذا المنهج من ناحية والتطور المعرفي الذي لحقه من ناحية أخرى.
2. يمثل الاستقراء مع الاستنباط حجر الزاوية في العمل العقلي مروراً من الكلي إلى الجزئي ومن الجزئي إلى الكلي.
3. التطبيقات الفقهية والأصولية تمثل الصورة المباشرة التي تدلل على انتفاء وجود أي من التعارض بين العقل والنقل.
4. استعمال المسلمين للمنهج الاستقرائي لم يكن أبداً تنكراً للدلالة النص، بل كان تأسيساً لإطار تكاملي مع هذه الدلالة وتفعيلاً لصيغها الواقعية.

(82) جندية، بتول أحمد، على عتبات الحضارة، بحث في السنن وعوامل التخلق والانهياب، ط1، سوريا، دار الملتقى،

(2011م)، ص49

(83) ينظر: الأصفهانى، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص79

5. استعمل المسلمون المنهج الاستقرائي قبل وصول الثقافة اليونانية إلى البيئة الإسلامية، ومن تلك الاستخدامات المجال اللغوي.

6. دلت تطبيقات المسلمين للمنهج الاستقرائي على شمولية المنهجية العلمية للثقافة الإسلامية.

7. حين نتدبر استخدام هذا المنهج من قبل علماء المسلمين نجد أنهم قد انطلقوا من الوعي بالسنن التي أودعها الله في هذا الكون.

8. حتمية استعمال المنهج الاستقرائي في التوصل إلى أحكام شاملة لحقيقة الحضارة الغربية المعاصرة.

9. يؤكد استحضار إبداعات المسلمين في استعمال المنهج الاستقرائي على أن الخلل ليس في طبيعة العقل المسلم.

10. حين نؤكد على محورية استحضار وتفعيل المنهج الاستقرائي في تجاوز الأزمة الحضارية للأمة فإننا نؤكد في الوقت ذاته على ضرورة التكامل مع المكون الروحي والتربوي العام.

ثانيا: التوصيات

1. عمل المزيد من الدراسات التي تكتشف إبداعات المسلمين في المنهجية العلمية.

2. تطوير المواد التعليمية التي تناقش مناهج البحث العلمي في التراث الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية، تحقيق: إحسان عباس، ط1، بيروت، دار مكتبة الحياة، (1900م)
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (2001م)
- أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، مؤسسة هنداي، (2017م)
- الأصفهاني، الحسين بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشريعة، بيروت، دار الكتب العلمية، (1980م)
- أصول البحث الأدبي ومصادره، مقرر دراسي بمرحلة الماجستير، جامعة المدينة جامعة المدينة.
- الأنصاري، زكريا بن محمد، غاية الوصول في شرح لب الأصول، مصر، دار الكتب العربية الكبرى، مصر.
- الأهل، عبد العزيز، من إشارات العلوم في القرآن الكريم، بيروت، دار النهضة الحديثة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط1 (1422هـ)
- بدوي، عبد الرحمن مناهج البحث العلمي، مصر، دار النهضة العربية، (1963م)
- بدوي، عبد الرحمن، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين ألف بينها عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: مجموعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت، دار الكتب العلمية، (1983م)
- جفيم، نعمان بن مبارك، الاستقراء عند الأصوليين، الجامعة الإسلامية العالمية، (2006م)
- جندي، بتول أحمد، على عتبات الحضارة، بحث في السنن وعوامل التخلق والانهيال، ط1، سوريا، دار الملتقى، (2011م)
- الجوادي، رياض بن علي، الفعالية الحضارية للإسلام بين حقائق التاريخ والصورة النمطية، ط2، تونس، دار التجديد.
- الحسيني، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحسيني الحصني تقي الدين الشافعي، كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، تحقيق: كامل محمد عويضة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، (2001م)
- الخادمي، نور الدين، الاستقراء ودوره في معرفة المقاصد الشرعية، ط1، الرياض، مكتبة الرشد، (2007)
- الخبيصي، عبيد الله بن فضل الله، شرح الخبيصي على تهذيب التهذيب، مكتبة الأسكندرية.
- دالين، ديوبولد بفان، مناهج البحث في علم النفس والتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، (1977م)
- الدسوقي، محمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على شرح الشمسية، ط1، مصر، المطبعة الأميرية، (1905م)
- الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، ط1، الأردن، دار الكتي، (1994م)
- سالم، إيمان، الاستدراك الأصولي، دراسة تأصيلية تطبيقية على المصنفات الأصولية من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر هجرياً، رسالة: دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1436 هـ - 2015 م)

- السبكي، تقي الدين علي بن عبد الكافي، وولده: تاج الدين عبد الوهاب، الإيهاج في شرح المنهاج، بيروت، دار الكتب العلمية، (1995م)
- الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، ط1، مصر، مكتبة الحلبي، (1940م)
- طوقان، قدري، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، هدية المقتطف السنوية، (1941م)
- عبد القادر، ماهر، مناهج العلوم عند المسلمين قديما وحديثا، مكتبة أورينتال، (2007م)
- العمريني، علي بن عبد العزيز، الاستدلال عند الأصوليين، الرياض، مكتبة التوبة، (1990م)
- الغزالي، محمد بن محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، (1993م)
- الغمراوي، محمد أحمد، في سنن الله الكونية. مطبعة لجنة التأليف والنشر.
- فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، ط3، دار العلم للملايين، (1980م)
- قاسم، محمود، المنطق الحديث، ط2، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، (1953م)
- مراحي، رابع، العلوية بين الاستنباط والاستقراء، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية.
- الملوي، أحمد بن عبد الفتاح، الشرح الكبير على السلم، الكويت، دار الضياء.
- مهران، محمد، علم المنطق، القاهرة، دار المعارف.
- موسى، جلال، منهج البحث العلمي عند العرب، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (1972م)
- هونكه، سيجريد، شمس الله تشرق على الغرب = فضل العرب على أوروبا، ترجمه وحققه وعلق عليه، فؤاد حسنين علي، ط2، دار العلم العربي، (1432هـ)